التفسير الموضوعي في مؤلفات الشيخ محمد الغزالي

إعداد
عفاف عبد الغفور حميد
الأستاذ المشارك بقسم أصول الدين
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/ جامعة الشارقة

ورقة بحث مقدمة إلى

مؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم واقع وآفاق

المنعقد في جامعة الشارقة
بتاريخ 25-26/ مارس/ 2010م

ملخص البحث

لا شك أن الشيخ محمد الغزالي ممن يملكون مفاتيح التعامل مع القرآن الكريم وهو الذي ألف "كيف نتعامل مع القرآن الكريم" فقد أسهم رحمه الله في هذا النوع من التفسير خلال مؤلفاته ومقالاته ومحاضراته، مؤكدا أهميته والحاجة إليه في مقدمات كتبه، ففي مؤلفه "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم" نراه يغوص في أعماق الآية لإدراك رباطها بما قبلها وما بعدها، ويظهر السورة متماسكة متساوقة، ويتعرف على الروابط الخفية التي تربط السورة كلها وتجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها، وفي كتابه "المحاور الخمسة للقرآن الكريم" تناول لونا آخر من ألوان التفسير الموضوعي وهو تتبع المعنى الواحد في طول القرآن وعرضه وحشده في سياق قريب، ومعالجة كثير من القضايا على هذا الأساس، كما تناول هذا النوع في كتابه "نظرات في القرآن".

وسيأتي البحث على النحو الآتي:
المقدمة عن جهود العلماء في التفسير الموضوعي.
المحور الأول: تعريف بالشيخ الغزالي وشيوخه الذين عالجوا هذا النوع من التأليف.
المحور الثاني: تعريف التفسير الموضوعي عند الغزالي وبيان أهميته وملامحه.
المحور الثالث: منهجه في التفسير الموضوعي (دراسة تحليلية)
الخاتمة: ما يتوصل إليه البحث.

المحور الأول: تعريف بالشيخ الغزالي وشيوخه الذين عالجوا هذا النوع من التأليف.

أولاً: سيرة حياة الشيخ محمد الغزالي

يفخر تاريخنا الإسلامي الحديث بأعلام المسلمين العظام, ومن أبرز هؤلاء الأعلام الشيخ محمد الغزالي, الذي كان نموذجاً فريداً من العلماء المجددين الذين يحملون هموم الأمة والواعين بأبعاد الحرب المعلنة ضد الإسلام وأمته وحضارته, ولقد كان مدركاً لخطر الأمراض الداخلية التي تفترس الأمة حتى مثلت حياته مشروعاً حضارياً ومعركةً فكريةً امتدت لأكثر من خمسين عاماً، وهو يخوض غمار هموم الأمة وقضاياها الأليمة.

المولد والنشأة:

ولد الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا في 5 ذي الحجة سنة 1235هـــ, الموافق 22 من سبتمبر 1917م, في قرية "نكلا العنب" التابعة لمحافظة البحيرة بمصر ، وسمّاه والده بـــ "محمد الغزالي" تيمناً بالعالم الكبير أبي حامد الغزالي المتوفى سنة 505 هـــ.

ونشأ – مع خمسة إخوة– في أسرة كريمة صالحة, أب حريص على العلم الشرعي، مطلع وحافظ، كان حلمه أن يتم ولده محمد الغزالي تعليمه الأزهري، فعهد بابنه في سن الخامسة إلى كتّاب القرية، وتابعه بنفسه حتى أتمّ حفظ القرآن بكتّاب القرية في العاشرة ، يقول الإمام محمد الغزالي عن نفسه وقتئذ: "كنت أتدرب على إجادة الحفظ بالتلاوة في غدوي ورواحي، وأختم القرآن في تتابع صلواتي، وقبل نومي، وفي وحدتي، وأذكر أنني ختمته أثناء اعتقالي، فقد كان القرآن مؤنساً في تلك الوحدة الموحشة".

التحق بعد ذلك بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي حتى حصل منه على شهادة الكفاءة ثم الشهادة الثانوية الأزهرية, ثم انتقل بعد ذلك إلى القاهرة سنة 1937م والتحق بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف, وبدأت كتاباته في مجلة (الإخوان المسلمين) أثناء دراسته بالسنة الثالثة في الكلية ، وبعد لقائه بالإمام حسن البنّا مؤسس جماعة الإخوان, الذي أعجب بأسلوب الغزالي وقوة قلمه، فشجّعه على الكتابة ، لما لمسه فيه من ثقافة عالية وأسلوب أدبي رفيع، وأطلق عليه الإمام حسن البنا لقب "أديب الدعوة" و كتب له رسالة جميلة يشكره على مقال كتبه، فيها عبارة حبّبت الكتابة للشيخ الغزالي هي "اكتب وروح القدس يؤيدك"، تخرّج بعد أربع سنوات في سنة 1941م وتخصص بعدها في الدعوة والإرشاد حتى حصل على درجة العالمية سنة 1943م وعمره ست وعشرون سنة، وبدأ بعدها رحلته في الدعوة من خلال مساجد القاهرة.

تلقّى الغزالي العلم عن نخبة من المشايخ من علماء الأزهر الشريف وتأثر بهم، فقد ترك هؤلاء أثرا طيبا في نفسه، وظل الغزالي يذكر فضلهم وتميّزهم طيلة حياته.

اشتغل الغزالي بالدعوة، مدرسا وواعظا وخطيبا وكاتبا، درس بالأزهر، وتنقل بين عدد من الجامعات الإسلامية، مثل جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وجامعة قطر، وترأس المجلس العلمي لجامعة الأمير عبدالقادر في الجزائر، وحاضر فيها خمس سنوات، أيقظ فيها الغزالي صحوة مميزة من طلبة العلم والباحثين، وانتشر فكره في الجزائر وأحبته الجماهير العريضة التي كانت تتابع أحاديثه الأسبوعية كل إثنين، وكانت أحاديث في معظمها تأملات في القرآن الكريم.

في مجال الدعوة

عرف الغزالي في مجال الدعوة والإرشاد وبدأ خطواته الأولى داعية في مسجد العتبة الخضراء، عقب تخرجه، وخطبه كانت قوية مميزة تكتظ لها الطرقات حول المسجد أيام الجمع، وتقلب في مناصب متعددة، منها إدارة الأوقاف، وقد عرف عنه الموظفون أنه كان يقرأ جزئين من القرآن كل يوم، ولا يجلس على مكتبه، بل يتنقل بين المكاتب وينظر في حاجات الناس.

عمل الشيخ الغزالي في مجال الدعوة بكل إخلاص واجتهاد سواء من خلال مقالاته التي أخذ ينشرها بشكل دوري في مجلة "الإخوان المسلمين" تحت عنوان "خواطر حية" والتي كان يقوم من خلالها بمناقشة أحوال المسلمين ومشكلاتهم اليومية، أو من خلال حملته في مواجهة الفساد والظلم الاجتماعي.

لقي الشيخ الغزالي في مجال الدعوة الشهرة والقبول بين الناس، وظل عضواً نشيطاً مع جماعة "الإخوان المسلمين"، فقد كسب ثقة الإمام حسن البنا، وساهم في جهاد الجماعة بقلمه الفذ، وكانت له شخصيته المميزة، وفي محنة الجماعة كان الغزالي من الأشخاص الذين تمّ اعتقالهم في معتقل طور مع مجموعة كبيرة من الإخوان وظل به قرابة العام حيث خرج منه سنة 1949م.

تكوينه الفكري:

من العوامل التي ساهمت في تكوينه العلمي والفكري[1] ما يأتي:

1 –تعلق الغزالي منذ طفولته بالقراءة فعشقها، حتى أنه كان يطالع الكتب أحياناً وهو يتناول الطعام

2 –أعجب الغزالي بأبرز العلماء والفلاسفة مثل ابن تيمية، والشافعي، وابن القيم، وأبي حامد الغزالي، ثم تأثر بمدرسة محمد عبده والأفغاني ورشيد رضا من اللاحقين ، وأخذ يدرس أفكارهم العلمية والإصلاحية، وفي كتبه خلاصة انتَـخَلها واستخلصها من السابقين والمعاصرين ، ثم زاد عليها ما تيسر له. كما استفاد من كتابات فطاحل الأزهر وحلقاتهم أمثال عبد العظيم الزرقاني ومحمود شلتوت.

وهكذا فإن مصادر فكر الغزالي متنوعة متأثراً بالمدرسة العقلية المعاصرة وبالأشاعرة وبمذهب

---

[1] – البيومي، 400/3 خطب الشيخ الغزالي، ج1، ص 577.

السلف لكنه لم يلتزم بمنهج طائفة معينة[2].

3 –مارس الغزالي الإصلاح عملياً مع حسن البنا مؤسس جماعة "الإخوان المسلمون" فتركت صحبته عظيم الأثر في نفسه وفكره وسلوكه. قال الغزالي واصفاً البنا : "كانت لدى حسن البنا ثروة طائلة من علم النفس، وفن التربية، وقواعد الاجتماع، وكان له بصر نافذ بطبائع الجماهير، وقيم الأفراد، وميزان المواهب" 3. واجه الغزالي مع أستاذه حسن البنا طائفة من المحن والفتن التي تصيب المصلحين في كل حين. يذكر الغزالي عن نفسه أنه انتسب لتلك الجماعة في العشرين من عمره ، ومكث فيها قرابة سبع عشرة سنة، كان خلالها عضواً في هيئتها التأسيسية، ثم عضواً في مكتب الإرشاد العام[4].

4 –أدرك الغزالي أهمية الكتابة والخطابة في تغيير المجتمع فجنّد كل طاقاته الطموحة لنشر الدعوة الإسلامية ومكافحة الفساد والظلم والجهل، ولم يترك الجهاد الفكري بالقلم، والدفاع عن القيم إلى آخر رمق في حياته.

5 –اطلع الغزالي على أحوال العالم الإسلامي وشخَّص علله، وناقش الأفكار الحديثة، وحاول انتقاء المفيد منها، ولقد تألق الغزالي في معظم الأقطار الإسلامية حيث سافر وحاضر ونشر العلم وحاز الجوائز العلمية الرفيعة.

6 –اتبع الغزالي منهج علماء السلف فتخلق بأخلاقهم فكان يغيّر أفكاره بتواضع وشجاعة كلما زاد تحصيله أو تبين له بُعد قوله عن الصواب. كانت أفكار الغزالي ثورة على النفس قبل أن تكون ثورة على قيم راكدة شاعت بين الناس. قالت الباحثة هبة رؤوف لقد نشأ الغزالي "في الريف حيث تحط التقاليد من شأن النساء فكانت كتاباته المبكرة متحفظة على مشاركة المرأة في المجتمع" ، ولكنه حين زاد وعيه بأوضاع المرأة المتردية نصر قضاياها[5].

جهود الغزالي في الفكر الإسلامي، ودفاعه عن العربية، ودفاعه عن المرأة:

يقدم الغزالي في ميدان الفكر الإسلامي ، عدة كتب في مواجهة الفكر الإسلامي للأفكار المضادة، وحملات الاستعماريين فيكتب عن: الإسلام والاستبداد السياسي، وحقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، ويكتب مبيناً حقيقة الاستعمار والمستعمرين في كتابه "الاستعمار أحقاد وأطماع"، وينبّه إلى خطر الفكر الشيوعي ويقدم شهادته في هذا المضمار في كتابه "الإسلام في وجه الزحف الأحمر".

---

[2] – القرضاوي، الشيخ الغزالي كما عرفته: رحلة نصف قرن، ص 81، محمد الغزالى : مقدمة خطب الغزالي.

[3] – في موكب الدعوة، ص 212.

[4] - انظر: قذائف الحق، ص 10

[5] – انظر: آل رشي، 2002 م، ص 50.

وفي حقل الدعوة الإسلامية – فكراً ومنهجاً– يقدّم عدة قضايا فكرية ومنهجية ويعالجها منها: كيف نفهم الإسلام؟ والدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، والمحاور الخمسة للقرآن الكريم، والإسلام والطاقات المعطلة، ثم تأملات في الدين والحياة.

عرف عن الغزالي دفاعه البالغ عن اللغة العربية في هذا القرن الذي شهد هجمة عنيفة على العربية وآدابها وتحديات عظيمة، كان أفدحها سقوط الخلافة الإسلامية، ثم هذا التردي الحضاري الذي يعيشه المسلمون اليوم بعدما تركوا قيم الإسلام ومبادئه، وعلي رأسها اللغة العربية التي لاقت حربا شعواء للقضاء عليها، فقد كان دائماً يصيح بحرقة: "اللغة العربية في خطر، أدركوها قبل فوات الأوان "، وقد طرح وسائل عديدة لإنقاذ اللغة العربية لعل أبرزها سيادة اللغة الجامعة – كما انتقد الشيخ– الروايات التمثيلية التي تحكي عبارات السوقة، والطبقات الجاهلة، فتحيي ألفاظاً كان يجب أن تموت مكانها، وتؤدي إلى سيادة اللهجات العامية، هذا إذا علمنا مدى الطاقات المادية والبشرية التي تهدر من أجل انتشار هذا النوع من الأدب العامي الساقط[6].

كان الشيخ الجليل يدافع عن المرأة ضد الآراء التي كانت تنادي بضرورة مكوثها في بيتها، وكان يرى في دفاعه عن حقها المشروع – في أخذها للعلم– جزءاً من تحقيق الرسالة الإسلامية بربط المرأة بتعلم القرآن الكريم والسنة النبوية، ورفض غلق أبواب المعرفة أمام النساء إلا أن يكون لأسباب فنية أو مواصفات خاصة، عندئذ ينطبق التخصيص على الرجال والنساء جميعًا فيوجّه كل أحد إلى ما يناسب قدرته، إضافة إلى أن تعليمها يخدم عبادتها ويتجاوز إلى الانصهار مع عالم متجدد يتطور باستمرار كما كان الشيخ الفقيه لا يري مانعا من تولي المرأة مناصب الرئاسة والوزارة والسفارة والقضاء (عدا منصب الرئاسة العامة) طالما أن ذلك لن يبعدها عن دائرتها الفطرية التي تنسجم مع شخصيتها وأهميتها لبنات جنسها، ولم ير في ذلك ما يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية كما تدعيه بعض الدوائر المتشددة[7].

خصائص أسلوبية متميزة:

ومن الخصائص الأساسية المميزة لأسلوبه ما يأتي:

أولاً: الأسلوب الأدبي هو الأسلوب المفضل في كتابات الشيخ، فهو أديب يفضل عرض الأفكار بلغة أدبية مؤثرة، فيها عناصر الإقناع والإمتاع، ويسير على هذه الطريقة في جل ما يكتب، ولا يستخدم الطريقة السردية المباشرة إلا نادراً، وذلك لشد عقول القراء وقلوبهم إلى الأفكار التي ينوي غرسها في النفوس.

ثانياً: يتميز أسلوبه بكثرة استخدام الصور الفنية، و ضرب الأمثلة المحسوسة، ذلك لتقريب الأفكار إلى النفوس، وعرضها في قوالب حية قريبة التناول، وواضح أن الشيخ قد استمد هذه الطريقة من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية الشريفة.

6– المصدر: مجلة الأدب الإسلامي 2003/08/18.

7– المصدر السابق.

ثالثاً: يمتاز أسلوبه أيضاً بالتنويع المشوق ولغة غنية المفردات، و له قدرة عجيبة على شد القارئ بأسلوبه السهل وتعابيره المحكمة ، فهو يلون حديثه ويكثر من الأساليب الإنشائية المؤثرة كالاستفهام والتوكيد والتعجب، ويستخدم القصة استخداماً جيداً، وكثيراً ما يتمثل بحوادث من الواقع، لتكون أبلغ في التأثير، وأكثر التصاقاً بالقضايا المثارة في هذا العصر[8].

يقول الغزالي موضحاً أهمية الفكر الصحيح وضرورة الإيمان بهدف ورسالة فكرية مثمرة إيمانية: "الرجل صاحب الرسالة يعيش لفكرته ويعيش في فكرته، فحياته فكرة مجسمة تتحرك بين الناس، تحاول أبداً أن تفرض على الدنيا نفسها، وأن تغرس في حاضر الإنسانية جذرها ليمتد على مر الأيام والليالي فروعاً متشابكة تظلل المستقبل وتتغلغل فيه، ومن ثم تبدأ الدعوات والنهضات الكبرى برجل واحد، هو في بداية أمره أمة وحده، أمة يتخيل حقيقتها في رأسه، ويحس ضرورتها في دمه، ويبشر بها في كلامه، ويحمل أثقالها على كاهله.

مؤلفاته وآثاره العلمية:

في مجال التأليف أغنى الشيخ الغزالي المكتبة الإسلامية بأ كثر من ستين كتابا، ونستطيع أن نترسم الملامح الرئيسية للدعوة الإسلامية الحديثة وتطورها من خلال هذه المؤلفات. كل كتاب يلخص معركة من معارك الشيخ في سبيل الدفاع عن الإسلام سواء في مواجهة القوى المعادية له (العلمانية، الصليبية، الاستشراق...) أو في مواجهة الذات الإسلامية التي عانت من الاستلاب للوافد الغربي أو لعصور الانحطاط... أو في مواجهة فكر الانغلاق والتطرف. ومن أوائل كتب الشيخ الغزالي : الإسلام والأوضاع الاقتصادية سنة 1947م، والذي كان يتحدث فيه عن أهمية التكافل الاجتماعي بين الطبقات، ثم تبعه كتاب آخر هو الإسلام والمناهج الاشتراكية حيث أتى مكملاً لفكر الإصلاح الاقتصادي، ويوضح المسؤوليات المتبادلة بين كل من الفرد والأمة، وبعد ذلك أصدر كتابه الثالث الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين.

ولج الشيخ الغزالي في كتبه وفكره دائرة جديدة غير متداولة عند غيره من الدعاة وهي الدعوة إلى الإصلاح والتكافل، وأهمية النهوض الاقتصادي وتحقيق المساواة بين أفراد الشعب، حيث كان الدعاة الآخرون مقتصرين على الوعظ والإرشاد فقط في المجال الديني.

وفي بداية شبابه صدر ديوانه الشعري اليتيم الحياة الأولى سنة 1936م، عندما كان طالبا في معهد الإسكندرية الثانوي، ومحاولته المبكرة هذه لم يُكتب لها الاستمرار ، وكأنه وجد الخطابة والكتابة أقرب إلى قلبه فتوقف عن قول الشعر. يضم ديوانه الشعري تأملات عامة لمفهوم الإيمان والوطن والابتلاء والمرض والفضيلة والمجد.

وقد عدّت بعض مؤلفاته من أكثر الكتب انتشارا في العالم الإسلامي مثل : خلق المسلم، وعقيدة المسلم، وفقه السيرة، ودستور الوحدة الثقافية بين المسلمين.

---

[8] - المصدر: مجلة الأدب الإسلامي 2003/08/18

وفاته

في آخر معاركه للذود عن حياض الإسلام، وأثناء حضوره ندوة (الإسلام والغرب) التي عقدت بالرياض، أصابته أزمة قلبية، فأسلم الروح مساء يوم السبت 19 شوال 1416 هـ الموافق 9 مارس 1996م، وشيع في اليوم التالي لمثواه الأخير في البقيع بجوار الرسول ﷺ كما كان يتمنى، عن عمر يناهز 79 عاما. رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ثانياً: شيوخه الذين تأثر بهم

كما علمنا سابقا أن علاقة الشيخ الغزالي بالقرآن الكريم وثيقة ووطيدة، فهو رجل قرآني، وهذه العلاقة وإن تعود نتيجة للتربية الإسرية والاستعداد الذاتي له فهي من جهة أخرى نتيجة للبيئة التي شب فيها وأثرت ملكاته الفكرية والنفسية، فقد نشأ في مرحلة شهدت حركة إصلاحية بفعل جهود بذلها مصلحون سابقون لبتداءا من جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده وحمل لوائها من بعدهم محمد رشيد رضا وآخرين.

وكان من الطبيعي أن يتأثر الشيخ – وهو في مرحلة الصبا – بهذه الحركة ويتفاعل معها ولأنه على صلة من رجالها أو المتأثرين بها، أثناء دراسته بالأزهر الشريف.

ومن الشخصيات التي كان أثر بارز فيه توجهه وترك بصماته فيما ألفه:

– **الأمام حسن البنا رحمه الله** : وكما مر أنه التقى به وانضم إليه في تأسيس جماعته، وأصبح عضوا قياديا فيها، فكان تحولا حاسما في حياته، حيث قرر أن يتبعه ويسير على دربه في خدمة الإسلام والمسلمين[9].

وقد طالت صحبته لحسن البنا حتى استشهاده وخلالها نهل الغزالي من البنا الكثير، ويصف الغزالي مدى صلته به وتلمذته عليه واستفادته منه فيقول: "حسن البنا أستاذي الأول في ميادين كثيرة، وكنت – وأنا طالب – استمع إلى محاضراته في القرآن الكريم، وأتأمل معه في النظرات التي كان يرسلها، وكنت أعود إلى بيتي فألخص ما استطعت فهمه من هذه المحاضرات، حتى تجمع ادي كتاب في هذا الصدد، لكنه للأسف ضاع مني، لكن معانيه بقيت في ذاكرتي، واستفدت من الإمام الشهيد في طريقة التفسير التي تعتمد على المعاناة الخاصة والذوق الشخصي، وذلك لطول تدبره في كتاب الله وشدة ارتباطه به، فقد كانت قدرته خارقة على فتح القلوب لأسرار الوحي[10]".

ومن المعروف أن البنا رحمه الله كان يلقي محاضرات أسبوعية في المركز العام للأخوان المسلمين، وقد تناول في عدد منها دراسة لبعض الموضوعات من خلال القرآن الكريم، مثلت نماذج للتفسير الموضوعي، وكتاب "نظرات في القرآن" تثبت تأثره العميق لخطوات البنا في التفسير الموضوعي لكتاب الله.

---

[9] انظر: محمد شلبي ، الشيخ الغزالي ومعركة المصحف، ص 244، وقصة حياة، ص 164.

[10] القرضاوي يوسف، الشيخ الغزالي كما عرفته، ص 110، نقله عن مجلة الدعوة ، ربيع الأول 1415هـ.

- **مدرسة الإمام محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا** : وعن طريق البنا تعرف الغزالي على مدرسة المنار، حيث كان البنا تلميذا لرشيد رضا أو متأثرا بمنهجه، ووجه شباب الإخوان لقراءة مؤلفات الشيخين ومنهم الغزالي[11].

وقد وجد الغزالي في مؤلفات الشيخين وخاصة تفسير المنار ما لم يجده في كتب التفسير الأخرى في استقراء سنن التاريخ وقيام الحضارات وانهيارها، ليثبت للأمة أن خلاصها في عودتها لدينها وكتابها، وعلى هذا كان تفسير المنار مصدره الأساسي في حياته الفكرية وهو يقول: "أتردد على تفسير المنار بين الحين والحين لأتعلم منه ما لم أكن أعلم، وهو في نظري موسوعة ثقافية موّارة بالأبحاث التي تشمل الدين كله"[12].

كما وجد عند الشيخين بوادر التفسير الموضوعي حيث يقول: "..ثم قرأت تفسيره للقرآن الكريم ووجدت بواكير التفسير الموضوعي للسورة فيما كتب، اهتدى إليها ذهن لماح مستوعب، وبصر حديد في إدراك الخيوط التي تشد أجزاء السورة، كما تشد أعصاب الكائن الحي...ويمكن عند متابعة المنار أن يعرف فضل الرجل في تجلية المعنى والحكمة ودفع الشبهات ودعم اليقين"[13].

- **شيوخه في الأزهر:**

استفاد الغزالي من شيوخه وأساتذته الذين تلقى العلم على أيديهم في الأزهر الشريف، وكثير منهم كان من العلماء البارزين الذين تركوا أثارا بارزة في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصرومنهم:

- الشيخ محمود شلتوت رحمه الله تعالى، شيخ الأزهر السابق، الذي يقول عنه الغزالي وهو يعدد من تأثر بهم من الشيوخ: "وقد تأثرت أيضاً بالشيخ محمود شلتوت الذي أصبح فيما بعد شيخا للأزهر، إذ كان مدرسا للتفسير، وله قدرة ملحوظة في هذا المجال، إلى جانب رسوخ قدميه في مجال الفقه وعلوم الشريعة إجمالا، وقد كان رحمه الله، شخصية عالمية بارزة يلتف حولها الكثيرون"[14].

  ولعل من بين أهم ما استفاد الغزالي من أستاذه الشيخ شلتوت، منهجه في تفسير القرآن، فللشيخ مؤلفات في هذا الميدان نحا فيه منحى يقترب كثيرا من منحى تفسير المنار، واتجه فيها وجهة التفسير الموضوعي، يتبين ذلك من التراث العلمي الذي خلفه والمتمثل في: تفسير القرآن العظيم، الأجزاء العشرة الأولى"، "إلى القرآن من جديد" ، "من توجيهات الإسلام" وغيرها[15].

- الشيخ عبد العظيم الزرقاني، ويصف الغزالي هذا التأثر فيقول: " تأثرت بالشيخ عبد العظيم الزرقاني الذي كان مدرسا بكلية أصول الدين، وهو صاحب كتاب: "مناهل العرفان في علوم القرآن" وكان عالما يجمع بين

---

[11] انظر: مسعود فلوسي، الشيخ محمد الغزالي رائد منهج التفسير الموضوعي في العصر الحديث، المنصورة، دار الوفاء، 2000م ص 58.

[12] الغزالي، علل وأدوية، دار الشهاب، باتنة (د.ت) ص 97.

[13] الغزالي بقلمه، ضمن خطب الشيخ في شؤون الدين والحياة م.س، ج 1، ص: 14.

[14] قصة حياة، ص 80.

[15] مسعود فلوسي، ص 59-60.

العلم والأدب، وعباراته في كتابه المذكور تدل أنه راسخ القدم في البيان وحسن الديباجة ونقاء العرض"[16].

- الشيخ محمد أبو زهرة، وهو من الذين درس على أيديهم ولا بد أن يكون تأثر به وإن لم يذكره، فقد كان له العديد من الدراسات في علوم الشريعة ومنها "المعجزة الكبرى، القرآن" الذي ضمنه بعض الدراسات التي يمكن اعتبارها من قبيل التفسير الموضوعي مثل موضوع "جدل القرآن ةواستدلاله" و "علم الكون والإنسان في اقرآن"، ومن كتبه الأخرى التي تناولت جوانب من التفسير الموضوعي "المجتمع الإنساني في ظل القرآن".
- ومن شيوخ الأزهر الذين تأثر بهم الغزالي أثناء دراسته بالأزهر: الدكتور محمد أحمد الغمراوي، والشيخ أمين الخولي، والدكتور عبد الوهاب عزام، والأستاذ عبد الوهاب خلاف، والشيخ محمد الخضر حسين، والدكتور محمد البهي، والدكتور محمد عبد الله ماضي، والدكتور محمد محمد يوسف موسى، وآخرون، وكان له بهؤلاء صلات أفادته في تشكيل ثقافته الفكرية.

– د الشيخ محمد عبد اللع درّاز: الذي أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من الدراسات القرنية التي تنحو منحى التفسير الموضوعي، ومنها رسالته لنيل شهادة الدكتوراه من السوربون: "دستور الإخلاق في القرآن" و " النبأ العظيم" الذي أفاد منه الغزالي كثيرا، واعترف له بفضل الريادة في منهج التفسير الموضوعي للسورة القرآنية فقال: " أفضل نموذج لهذا التفسير ما قدمه الشيخ محمد عبد الله دراز من تفسير لسورة البقرة في كتابه "النبأ العظيم"، فقد ضم معان السورة في باقة واحدة متكاملة تجعلك بنظرة ذكية تدرك أبعادها"[17].

وقد تأثر الشيخ الغزالي بدراز حين أقبل على التأليف في التفسير الموضوعي للسور القرآنية من حيث العناية بالوحدة الموضوعية للسورة قائلا: " لقد عنيت عناية شديدة بوحدة الموضوع في السورة، وإن كثرت قضاياه، وتأسيت في ذلك بالشيخ محمد عبد الله دراز عندما تناول سورة البقرة، فجعل منها باقة ملونة نضيدة، يعرف ذلك من قرأ كتابه "النبأ العظيم" وهو أول تفسير موضوعي لسورة كاملة فيما أعتقد[18].

وهكذا نجد الغزالي قد نهل من روافد متعددة تصب في مدرسة الإحياء والتجديد الحديثة للفكر الإسلامي ومع استعداده الشخصي لذلك فيجمع خلاصة ما قدمه روادها وخصوصا بعد أن ترأس المجلس العلمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة، ليعيد تشكيله من جديد في أفكار وتوجيهات أثرت وما زالت تؤثر في مسار الفكر الإسلامي المعاصر[19].

---

[16] الشيخ الغزالي بقلمه، ضمن خطبه في شؤون الدين والحياة، ج1، ص 14.

[17] الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل ، ط3، القاهرة: دار الشروق ، 1992م، ص 129.

[18] الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن، ص 5.

[19] فلوس 61.

المحور الثاني: تعريف التفسير الموضوعي وأهميته عند الغزالي

أولاً: التعريف عند الغزالي

يقول الغزالي: يطلق التفسير الموضوعي على نوعين جديدين من خدمة الكتاب العزيز:

أولهما: تتبع قضية ما في القرآن كله وشرحها على ضوء الوحي النازل خلال ربع قرن تقريباً.

والآخر: النظر المتغلغل في السورة الواحدة لمعرفة المحور الذي تدور عليه، والخيوط الخفية التي تجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقاً لأولها، أو بتعبير سريع: تكوين صورة عاجلة لملامح السورة كلها.[20]

ويتضح من التعريف أن التفسير الموضوعي هو منهج في تفسير كتاب الله يقوم على التأمل والنظر ومراعاة الوحدة الموضوعية، في نوعي التفسير سواء بتتبع الآيات حول موضوع واحد أو قضية واحدة، للوصول إلى نظرة شاملة للقضية من خلال القرآن، أو دراسة سورة من السور من خلال معرفة محورها وهدفها الذي تدور حوله جميع آيات كل سورة على حدة.

ويقول الغزالي في مقدمة كتابه نحو تفسير موضوعي: "يجب أن أغوص في أعماق الآية لأدراك رباطها بما قبلها وما بعدها، وأن أتعرف على السورة كلها متماسكة متساوقة".

كما يبين عمله في هذا الكتاب: "إنني أختار من الآيات ما يبرز ملامح الصورة، وأترك غيرها للقارئ يضمها إلى السياق المشابه، وذلك حتى لا يطول العرض ويتشتت، والإيجاز مقصود لديّ...".

ويذكر أنه تناول في هذا الكتاب أحد نوعي التفسير الموضوعي- أي للسور- فيقول: "وهناك معنى آخر للتفسير الموضوعي لم أتعرض له، وهو تتبع المعنى الواحد في طول القرآن وعرضه وحشده في سياق قريب، ومعالجة كثير من القضايا على هذا الأساس... وقد قدمت نماذج لهذا التفسير في كتابي "المحاور الخمسة للقرآن الكريم: و"نظرات في القرآن".[21]

ثانياً- أهمية التفسير الموضوعي عند الغزالي

لقد بين الغزالي أهية هذا النوع من التفسير في أكثر من طريق سواء في كتبه أو خطبه ومقالاته ويرى أنه بنوعيه جدير بعناية الأمة فيقول: "إن التفسير الموضوعي بشقيه جدير بعناية الأمة، فإن المستقبل له، ولعله في عصرنا أقدر على خدمة الإسلام وإبراز أهدافه" [22]، وفي كلامه عن الحاجة إلى دراسة موضوع أو قضية من خلال القرآن يقول: "ولا ريب أن الد راسات القرآنية تحتاج إلى هذا النسق الآخر، بل يرى البعض أن المستقبل لها.."[23]

وتكمن قدرة هذا المنهج في التفسير على خدمة الإسلام وإبراز أهدافه، في المرونة التي يتمتع بها المفسر في

---

[20] الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، ص 128.

[21] انظر مقدمة الكتاب، ط2، القاهرة: دار الشروق ، 1995م، ص 6.

[22] قصة حياة، مقتطفات من مذكرات الشيخ ص 129.

[23] نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص 6.

إطاره، فهو يملك أن ينطلق من الواقع الذي يعيش فيه ويعلم معاناته وبهده عم هدايات الله، ليبحث في القرآن الكريم عن علاج لآلام هذا الواقع ومعاناته، سواء بإثارة قضية هامة في حياة الناس، وإبراز نظرة القرآن إلى هذه القضية، وإجلاء موقفه منها وهداياته في شأنها، أو بالتوجه إلى سورة من السور القرآنية التي يعتقد ارتباطها بالقضية الواقعة، والبحث عن المحور الذي تدور عليه السورة ، وإبراز الهدايات القرآنية التي تتكفل بعلاج هذه القضية في الواقع وتوجيه الناس إلى موضع الحق فيها من خلال تلك السورة.

أما في إطار مناهج التفسير الموضعي فإن المفسر لا يمتلك هذه المرونة وإنما هو ملزم بدراسة الآية في إطار ما يسبقها وما يلحقها من الآيات، وكذلك يفعل مع السورة، بمعنى أنه لا يمتلك هامشاً كبيرا للتحرك وإسقاط الهدايات القرآنية على الواقع، بعكس حاله مع التفسير الموضوع[24].

وقد يوضح الغزالي أهمية هذا المنهج في خطبه التي كان يفسر فيها كتاب الله تعالى من خلال نقده للمناهج التفسيرية الأخرى التي تناولت القرآن وسوره بطريقة تجزيئية، لأبراز أهمية التفسير الموضعي بديلا في هذا الإطار فيقول: "قلنا: إن الفائدة من الدراسة الموضوعية لسور القرآن الكريم أنها تعطيك فكرة عجلى عن السورة، بحيث إذا رجعت إلى نفسك وأخذت تتلو كتاب ربك وتتدبر ما أودع الله فيه من هدايات تعرف أين تسير وما الذي يواجهك، فإن من العجز الذي وقع فيه بعض المفسرين والقرّاء أنهم ظنوا آيات القرآن الكريم ركم بعضها فوق البعض الآخر دون رباط واضح ودون خطة بينة!! وهذا من العجز في تدبر القرآن والقصور في إدراك معانيه ومغازيه"[25].

- وفي رأي الغزالي أن التفسير الموضوعي يحقق نظرة شمولية للموضوع على مستوى القرآن، أو للوحدة الموضوعية للسورة، لأن النظرات الجزئية إلى القرآن الكريم لا تجدي نفعا، بقدر ما تساهم في استفحال النظرة الضيقة إلى آيات القرآن الكريم، وذلك من خلال الفصل بينها وبين مثيلاتها من حيث الموضوع، وبهذا يرى أن النظر الجزئي إلى سور القرآن وآياته هو بعض مظاهر الخلل في علاقة المسلمين بالقرآن، ولذلك هو ينتقد هذا النوع من التفسير ويطرح المنهج الشمولي بديلا عنه، ويرى أن ذلك يعطي الأحكام الصحيحة من الناحية الفقهية التشريعية.
- يرى أن في التفسير الموضوعي معالجة الواقع ومنطلق فكري لرؤية قرآنية متوازنة فيقول: "التفسير الموضوعي بشقيه، وهو مثلا: النبوة في القرآن، المال في القرآن، العدالة في القرآن، ربما كان إنشاء تفسير موضوعي من هذا النوع يكون فيه معالجة لهذا الواقع ومنطلق ثقافي لرؤية قرآنية شاملة ومتوازنة... يضاف إلى ذلك أن النظرة الموضوعية للسورة كاملة، ومعرفة الأغراض التي تدور حولها، يمكن أن تساهم أيضا بتكوين المنطلق الثقافي للرؤية الشاملة[26].

---

[24] مسعود فلوسي، ص 100.

[25] خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، ج4 ص 149.

[26] انظر: قصة حياة، مقتطفات من مذكرات الشيخ ص 74 ومسعود فلوسي ص 91.

ثالثاً- مراحل التفسير الموضوعي عند الشيخ الغزالي

إن تأليف الشيخ في إطار منهج التفسير الموضوعي قد مر بمراحل حتى بلغ غاية النضج، فلم تكن في بداياتها واضحة جلية، وإن كان قد كتب في موضوعات من خلال القرآن ابتداءً إلا أنه لم يقصد ذلك، ولذلك يمكننا أن نستعرض تاريخ مؤلفاته لنستكشف المراحل التي مر بها حتى أصبح هذا المنهج جليا لديه:

الأولى: تمثلت في أول مؤلفاته وهو كتاب: الإسلام والأوضاع الاقتصادية" سنة (1947م)، وقال في مقدمة الطبعة الأولى: "هذا بحث مجمل في موقف الدين من الأوضاع الاقتصادية، اعتمدت في موضوعه على الدراسة المجردة لنصوص الدين، والفهم المستقل لآثاره الثابتة..."[27].

وقد وضح منهجه في الاستدلال على القضايا المطروحة في البحث فقال: "وعلى نصوص القرآن أعتمد في الاستدلال والاتنتاج، مسترشداً بما قد يرد في السنة من شرح وتفصيل.

وفي الكتاب نجد بواكير التفسير الاتجاه الموضوعي في التفسير عند الغزالي، فيما كتبه في مبحث تحت عنوان "القرآن والطبقات المترفة"[28].

في هذا المبحث لجأ الشيخ الغزالي إلى القرآن في وصف الطبقات المترفة وصفاتها وميزاتها على سائر الطبقات الاجتماعية الأخرى، ويلخص موقف القرآن منها في كلام موجز فيقول: "يرى القرآن وجود الطبقات المترفة خطراً داهما لا يفتأ يتهدد الحياة الإنسانية ويملأ مستقبلها بالغيوم والرجوم، ويرى أن تأمين الشعوب على سعادتها وحقها يتطلب اتخاذ الوسائل الممكنة للحيلولة دون ظهور الترف والمترفين"، ويمض الشيخ في تناول الموضوع مستدلا بالقرآن على أن: المترفين أعداء كل إصلاح، وأن الطبقات المترفة مصدر فساد عريض، وأنهم أعداء الشعوب.

فهذا المبحث على – إيجازه – يشكل باكورة التفسير الموضوعي عند الغزالي، وهي باكورة اكتسبت الكثير من العناصر الضرورية اللازم توفرها في أي دراسة موضوعية من خلال القرآن، كما أكتسبت – إضافة إلى ذلك – البعد الواقعي، حيث وجه الغزالي بحثه في هذا المبحث وفي سائر مباحث الكتاب وجهة واقعية بحتة، إذ كان في كل مرة يقايس هذا الواقع إلى القرآن، ويبين مدى أنحرافه عن مقتضياته"[29].

وعلى هذا المنهج سار الغزالي في كتابه الثاني "الإسلام والاستبداد السياسي" تحدث فيه عن الاستبداد والأخطار التي جرها على الأمة الإسلامية، وفي مبحث طبيعة الحكم المطلق: استخلص من القرآن الصفات التي تصحب الاستبداد ويقوم عليها، وفي مقدمتها كبرياء الحاكم وتعاليه، واستفحال الرياء في في الاتباع، مستشهدا بكل ذلك

---

[27] مقدمة الكتاب الطبعة الأولى ص 17.

[28] انظر هذا الفصل في الكتاب ص 48-55.

[29] مسعود فلوسي، ص 77.

بواقع الأمة الإسلامية عبر قرون [30]، وفي مبحث آخر: عدو منذ الأزل تناول نظرة الأديان السماوية إلى الاستبداد كعدو، مستشهدا بالقصص القرآني مسدلا بقصة أصحاب القرية التي جاءها المرسلون، ونوح، وغيره من الأنبياء وما لاقاه محمد ﷺ مع قومه قريش.

وفي هذين المبحثين نرى بواكير التفسير الموضوعي في فكر الغزالي، وإن لم يقصد تفسير القرآن، ولم يكن يخطر بباله في ذلك الوقت.

وتوالت مؤلفات الغزالي على هذا النهج فصدر له "الإسلام المفترى عليه بين الشيوعية والرأسماليين" ضمنه هذا النوع من الدراسات القرآنية، وكذلك كتابه "في موكب الدعوة" وفيه فصل: "من صور القوة في القرآن" وهو تفسير لسورة العاديات أبان فيه منزلة السورة ومحورها، ثم أسقطه على الواقع السائد في بيئته آنذاك[31].

وفي مؤلفاته في هذه المرحلة مواجهة دفاعية اقتضتها الظروف، فضلاً عن تأصيل الكثير من القضايا الثقافية في الفكر الإسلامي انطلاقا من القرآن الكريم وهداياته.

الثانية: نقد الواقع الإسلامي من القرآن

واجه الشيخ الغزالي جبهات متعددة في وقت واحد وهي: جبهة الواقع الإسلامي، وما يعانيه من تخلف فكري وسياسي، وانتشار للخرافات وسيطرتها على العوام، وجبهة الاستعمار الي أثقل كاهل أغلب الدول الإسلامية ونهب ثرواتهاوجبهة المستشرقين وسمومهم، بإثارة الشبهات حول الإسلام، وجبهة الضالين من أبناء الأمة الإسلامية من المثقفين الشيوعيين والليبرالين، والذين يختلفون فيما بينهم ويتفقون في عدائهم للإسلام والعمل على إضعافه بل والعمل على هدمه.

وقف الشيخ بقلمه وخطبه ضد كل هذه الجبهات مرة واحدة، ولذ تعدد إنتاجه الفكري وتنوع، ويدل عليه ما ألف في عقدي الخمسينات والستينات من القرن الماضي، مثل "ليس من الإسلام"، "كيف نفهم الإسلام"، "التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام"، "ظلام من الغرب"، "كفاح دين"، "الإسلام والطاقات المعطلة"، "دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين"، وغيرها من المؤلفات وصولا إلى كتاب "حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي".

"إن هذه الكتب كانت كفاحاً ضد موجات القهر والانحلال التي زحفت على المسلمين في عصر الاستقلال الأعور بقيادة أفراد محسوبين – قانونيا – على الأمة للأسف الشديد، حكموها في مرحلة ما بعد الاستعمار العسكري، لكنهم نجحوا في أن يصيبوها بالشلل والتآكل الداخلي.. وهذه الكتب كانت تربية للأمة على أن تستعيد الثقة في دينها وتراثها وذاتها، وأن تعرف حقها في الحياة الإنسانية الكريمة.."[32].

---

[30] الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي، ص 26-43.

[31] انظر كتابه ، في موكب الدعوة، الجزائر: دار الكتب، (د.ت) ، ص 39.

[32] عبد الحليم عويس، الشيخ محمد الغزالي تاريخه وجهوده وآراؤه، ص 123-124.

وفي هذه المرحلة نقف على نماذج من الدراسات الإسلامية للشيخ الغزالي مثل "مع الله.. دراسة في الدعوة والدعاة" تضمن فصولا تعد نماذج للتفسير الموضوعي للقرآن، مثل "التعريف بالدعوة، أمة ورسالة، من م تبلغهم الدعوة، السنن العامة في دعوة الرسل والأنبياء إلى الدين"، والمتأمل لهذه الفصول يلاحظ أنه كان يمارس التفسير الموضوعي، من غير قصد منه بهذا المصطلح، وكلها محاولات في بث الوعي في نفوس المسلمين بمدى أهمية القرآن في حياة الأمة، وأن سبب تردي الأمة هو تضييعها لكتابها وعدم الأخذ بهديه، يقول الشيخ في فصل "السنن العامة في دعوة الرسل والأنبياء إلى الدين" وفي فقرة سنة انتصار الحق على الباطل، بين أن الحق الذي يحوز الانتصار ينبغي أن تتوفر فيه خصائص مميزة، وأن الحق الذي تدعيه أمتنا خلال القرون الأخيرة حق مشوب لا تستحق معه أن تنتصر[33].

وفي هذه المرحلة أصدر الغزالي كتابه الشهير "نظرات في القرآن" كان جلّه عن القرآن والقضايا المتصلة به، وتضمن جملة من الأبحاث التي يتضح فيها بجلاء الاتجاه الموضوعي في التفسير، ومما تضمنه الكتاب بهذا الاتجاه:

- الإنسان في القرآن. - الحياة العامة في القرآن.
- الثروة في القرآن. - الألوهية في القرآن.
- الجزاء في القرآن. - فساد الأمم كما يصوره القرآن.

هذا عدا الأبحاث الأخرى التي تضمنها الكتاب وذات صلة بالقرآن الكريم، وهي: الإعجاز النفسي، الإعجاز العلمي، الإعجاز البياني، بين الكتاب والسنة، القرآن وأهل الكتاب، حاجة العالم إلى القرآن، وحول النسخ، وتاريخ النزول وسببه. ومما تجدر الإشارة إليه أنه إلى حين صدور هذا الكتاب لم يتحدث عن التفسير الموضوعي ولم يشر إلى هذا المصطلح.

والأمر الآخر أنه صرح في خاتمته بأنه يعتبره مقدمة لتفسير كامل للقرآن الكريم فقال: "لما كتبت هذه النظرات رجوت أن تكون مقدمة بين يدي تفسير حسن للقرآن الكريم، تفسير يلائم طريقة عصرنا في الفهم والاستباط، ويترجم عن روح القرآن نفسه، ويخلو قدر الطاقة من وجوه الإعراب وفنون البلاغة وجدل أهل الكلام والفلاسفة.. ولست أدري هل ييسر لي ذلك العمل في الأيام المقبلة أم لا!"[34].

نعم لقد يسر الله ذلك للشيخ لصدق نيته فيما سنورده لاحقاً.

في هذا الكتاب اهتم الغزالي بإبراز علاقة المسلمين المعاصرين بالقرآن، ورأى أنها علاقة واهية، وعلى الأصح منقطعة، فهو بتعاليمه وهدايته في واد، وهم بسلوكاتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بالأمم الأخرى في واد آخر بعيد"[35].

---

[33] انظر: مع الله، دراسات في العوة والدعاة، القاهرة: المكتبة الإسلامية، ط5، 1981، ص 86-88.

[34] الغزالي، نظرات في القرآن، ص 230.

[35] انظر: فلوس ص82.

وهذا ما سجله في مقدمة الكتاب وأكده في الخاتمة، ومما قاله في المقدمة: "إن كثيراً من المسلمين جعلوا القرآن على هامش حياتهم، وتركوا حفظه ودرسه للمنقطعين والمصابين، وهم بهذا المسلك يخونون الله ورسوله، ويخونون أنفسهم..

ثم دعا إلى إعادة النظر في سياسة تدريس القرآن وتحفيظه بما يجعل الأجيال تستفيد منه وتسترشد بهديه.. فقال: "فنحن نريد بقاء التواتر الذي وصل به هذا القرآن إلينا، حتى يصل كذلك إلى الأجيال التي تخلفنا، ولكننا نريد كذلك إلا تلتف حول هذا القرآن هذه الجماهير المتآكلة به، والنازلة عن خلقه، المنحرفة عن طريقه، التي تستوعب أحرفه تجويدا وترتيلا، ولا تعي من وصاياه شيئا يرفع رأسها أو يزكي نفسها!!.

ثم كرر ذلك في الخاتمة قائلا: "ولا أدع القلم حتى ألوم أمتنا على موقفها المريب من كلام الله جل شأنه، إن هذا القرآن أصبح كتاباً مظلوما، أقفرت مواطنه من الحياة والنظارة، والتف حوله آخر الناس صلة به، ونحن نفقد رشدنا حين نتفقد هذا الكتاب في ضمائرنا وعقولنا فلا نجده"[36].

المرحلة الثالثة- مرحلة الممارسة ونقد مناهج المفسرين

بعد إصدار اشيخ لكتابه "نظرات في القرآن" سنة 1957م، توجه الغزالي إلى الجبهات الأخرى التي كانت مفتوحة على العقل المسلم في تلك المرحلة، فألف كتاب: "معركة المصحف"، "كفاح دين"، "الإسلام والطاقات المعطلة"، "حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة"، "هذا ديننا"، "دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين"، "ركائز الإيمان"، "حصاد الغرور"... وقد استمر في هذا النوع من التأليفات حتى نهاية الستينات.

وفي مطلع السبعينات اتجه الغزالي إلى التفسير الموضوعي بصورة عملية، وصار يوظف مصطلح "التفسير الموضوعي" توظيفاً واقعيا وعمليا، وذلك حين اتجه في خطبه التي كان يلقيها على المصلين كل يوم جمعة، بتناول سور القرآن الكريم بالتفسير الموضوعي، ففي يوم الجمعة 30 نوفمبر 1973م، أعلن على المصلين أنه سيبدأ تفسير القرآن الكريم، حرصا منه على نفع المصلين بهدايات القرآن، وأنه سينطلق من تفسير سورة البقرة تفسيرا موضوعيا، فقال: "فإن الله جل شأنه سمى خطبة الجمعة ذكرا في قوله :" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ...**" [الجمعة: 9]، والذين يسعون إلى هذا المسجد إنما يجيئون كي يكونوا من الحشود الماثلة فيه بين يدي الله مجلس ذكر كبير لرب العالمين، ..... وقد رأيت أن أبدأ تفسير السورة الكبرى في القرآن الكريم، وأنا أتمثل هذين المعنيين: أننا جئنا هنا لنذكر الله جل جلاله، وأن أوقات الذين يجيئون هنا غالية لا يجوز أن تضيع إلا فيما هو خير"[37].

ونرى في ذلك أن مفهوم مصطلح "التفسير الموضوعي" كان واضحا عنده في هذه المرحلة، ويرى أن لكل سورة محور تدور حوله، وإن تنوعت موضوعاتها الجزئية، ولذا نجده يقول في نفس الخطبة: "أحب أن أوجه

---

[36] المصدر السابق، ، المقدمة ص 5-7، والخاتمة ص 231.

[37] خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، ج 4، ص 79.

النظر إلى خطأ شائع بين المسلمين، أنهم يظنون أن الآيات تجمع في السورة من السور ويركم بعضها فوق البعض الآخر دون ترتيب أو ضبط أو تنسيق، بعض الناس يظن سور القرآن تجمعت الآيات فيها على هذا النحو، ركام الأحكام ليس هناك ضابط ولا رابط في حشده وسوقه، وهذا خطأ كبير.

وقد تراجع نشاط الغزالي في مجال التألف بعد ذلك في السبعينيات، نتيجة للظروف التي مرت بها مصر، ثم ذهابه إلى السعودية، ثم عاد إلى التأليف والكتابة بقوة في نهاية عقد السبعينيات وبداية الثمانينيات، فظهرت له مجموعة من الكتب مثل: "الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر"، "مشكلات في طريق الحياة الإسلامية"، "فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء"، "هموم داعية"، "دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين"، "الحق المر" وغيرها من المؤلفات التي جاءت لتعالج أوضاعا جديدة طرأت على الحياة الإسلامية، تمثلت بالصحوة الإسلامية المعاصرة، التي عرفت مسيرتها الكثير من الإيجابيات، كما عرفت الكثير من السلبيات[38].

وفي هذه المرحلة ظهر له كتابان تضمنا قضايا في التفسير الموضوعي:

كتاب "علل وأدوية"، وفيه بحثان لدراستين قرآنيتين وهما "الإنسان في القرآن"، و "أولو الألباب في كتاب الله"، والآخر: "سر تخلف العرب والمسلمين" تضمن فصلا بعنوان "بعض سنن الله الكونية في القرآن" ذكر فيه عشرة من السنن التي تكفل الحضارات وتحصن الأمم، مستخلصا إياها من القرآن.

هذه النماذج من التفسير الموضوعي تأكدت واثبتت معالمها أكثر بانتقال الغزالي إلى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة (الجزائر)، فازداد اهتمامه بهذا المنهج، وقدم أكثر من مساهمة جديدة في إطار التفسير الموضوعي، فقد ألف كتابه "المحاور الخمسة للقرآن الكريم".

وقبل نشره بصورة كتاب كان قد ألقاه بشكل ثلاث محاضرات نظمها له المركز الثقافي الإسلامي بالجزائر العاصمة، خلال شهري: ديسمبر 1984، ويناير 1985م، وقد طبع المركز هذه المحاضرات الثلاث إلى جانب محاضرات أخرى للغزالي ألقاها بذات المركز وتصب كلها في نفس الإطار، في كتيب يحمل عنوان: "نماذج من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم".

كما ألقى خلال عمله بالجزائر دروسا مسائية أيضا في تفسير لكل سور القرآن ألقاها عبر شاشة التلفزيون خلال شهر رمضان، تناولها بطريقة التفسير الموضوعي، أظهر خلالها عظمة القرآن وهداياته، فنال إعجاب السامعين.

وعندما عاد إلى مصر في أواخر التسعينات تفرغ للكتابة والتأليف، فظهر له في بداية التسعينات كتاب: "كيف نتعامل مع القرآن؟"، وهو مدارسة أجراها معه الأستاذ عمر عبيد حسنة، وانتقد فيه علاقة المسلمين بالقرآن، وهو يرى أن بعض مظاهر الخلل في تلك العلاقة هو النظر الجزئي إلى سور القرآن وآياته[39].

ويطرح الغزالي منهج التفسير الموضوعي ضرورةً وخياراً لا بد منه فهو هنا ينطلق من خلال نقد المناهج

---

[38] انظر: مسعود فلوسي، ص 87.

[39] انظر كيف نتعامل مع القرآن، ص 25.

السابقة في تفسير كتاب الله فيقول: "ويمكن حصر الثقافة القرآنية الآن، في عدد من المدارس: فهناك مدرسة الأثريين،... والذي يعيب هذه المدرسة – في نظري – أنها ربطت الآيات بأحاديث أغلبها ضعيف، فكانت مصيدة حالت دون انطلاق الفكر القرآني إلى أهدافه الشاملة في التفسير، ووسيلة إلى شيوع الأحاديث الضعيفة التي بنى عليها المحدثون فكرهم القرآني....وهكذا يستمر بذكر المناهج الآخرى كالفقهي والكلامي، والبياني وغيرها ويرى أن لكل منها خير وعليها مأخذ، ونريد للعصرالحديث والصحوة الإسلامية أن نقدم جيلا واعيا موصولا بالقرآن، ومدركا لمقاصده.

ومن أمثلة انتقاده لهذه المناهج يقول: "وقد رأيت عدداً من المفسرين إلى جانب مفسرين آخرين من مدارس أخرى، كانوا بلاءً على الأمة الإسلامية، على الرغم من أنهم خدموا البلاغة العربية، وخدموا التفسير البياني للقرآن أجل خدمة.. لكن حملت تفاسيرهم إلى جانب ذلك إساءات كبيرة للفكر القرآني. ويرى أن التفسير بالرأي الذي فيه ضوابط وليس بالهوى كتفسير الشيخ رشيد رضا أنه مدرسة متعددة المناهج في فهم القرآن، والتفسير بالرأي هو الذي أدخل القرآن إلى الحياة ومشكلاتها[40].

المرحلة الرابعة: مرحلة التكامل

وبعد تلك الجهود الماضية بلغت غاية نضجها في تجسيد منهجه في التفسير الموضوعي عمليا في إنجاز كتابه: "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"، وجاء هذا الكتاب نتيجة لتطورات عديدة مرت بها رؤيته لهذا المنهج، والتجارب الكثيرة خلال خمسين سنة من الزمن، وجسد كتابه الأخير تكامل هذه النظرة واتساقها الشامل في فكر الشيخ، قبيل وفاته بفترة وجيزة.

وصدرت الطبعة الكاملة لهذا التفسير في مجلد واحد في بداية سنة 1996م، أي قبل وفاته بمدة قصيرة، وبصدوره تحقق أمله الذي أفصح عنه سنة 1957م حين أعلن في كتابه "نظرات في القرآن" عن نيته في كتابة تفسير كامل للقرآن الكريم[41].

المحور الثالث – منهجه في التفسير الموضوعي (دراسة تحليلية)

من خلال تعريفات الغزالي التي أوردناها للتفسير الموضوعي في المحور الأول، وكذلك الكتب التي مارس فيها هذا النوع من التفسير يظهر جليا أنه كان له لونين متميزين، ولكل منهما طريقة وخطوات متميزة، ولكي نتعرف على منهجه فلا بد من معرفتها من خلال الكلام على كل لون ألف فيه:

أنواع التفسير الموضوعي عند الغزالي

للشيخ الغزالي في تناول التفسير الموضوعي لونين بارزين وهما:

النوع الأول: دراسة موضوع من خلال القرآن كله، أو التفسير الموضوعي للموضوع القرآني: وذلك بتتبع

---

[40] انظر أقواله تلك في نقد المناهج، كيف نتعامل مع القرآن، ص 39–42، و195–196.

[41] انظر: مسعود فلوسي، ص 94–95.

القضايا ودراستها في ضوء الهدايات القرآنية، ودراستها والغوص في معانيها للوصول إلى فكرة شاملة تصحح أوضاعا اجتماعية أو سياسية أو عقائدية، أو في أي مجال من مجالات الحياة، ويسمي البعض هذا النوع "التفسير الموضوعي التجميعي" والذي يستهدف سبر أغوار الموضوعات القرآنية من خلال القرآن كله، عن طريق تكوين شبكة علاقات بين النصوص للخروج بتصور حول الموضوع أو نظرية فيه[42].

وممارسة هذا اللون من التفسير الموضوعي عند الشيخ سابقا على التفسير الموضوعي للسور القرآنية، حيث نجده مع أول مؤلفاته وهو "الإسلام وأوضاعنا الاقتصادية"، حيث ضمنه فصلاً بعنوان "القرآن والطبقات المترفة"[43]. مثل أول تطبيقات منهج التفسير الموضوعي لديه، حيث جمع الآيات التي تحدثت عن المترفين، ونسق بينها، ثم فسرها، واستخلص منها صفات المترفين من خلال القرآن.

وقد كانت المحاولة الأولى موفقة في هذا الاتجاه انطلق فيما بعد إلى دراسات من هذا النوع فيما تبقى من عمره ومسيرته الفكرية.

وقد خاض في هذا النوع من خلال مؤلفات كثيرة بين منهجه في كتابه "نظرات في القرآن" ، وقد نضج هذا النوع من التفسير الموضعي للموضع القرآني لديه في كتاب: "المحاور الخمسة للقرآن"، ولذلك لا نرى الغزالي يتبع الخطوات المعروفة عند من كتب بهذا المصطلح، إلا في كتاب "المحاور الخمسة للقرآن"، أما بقية ما كتب في القضايا القرآنية، فلا نكاد نجدها متكاملة، أو يجمع كل أطراف الموضوع، ولا كل الآيات المتصلة بالموضوع، والقريبة منه، وخصوصا فيما كتبه قديما حين لم يكن المصطلح واضحا في ذهنه، أو يقده، بل نراه يتناول من الموضوع ما يحقق الهدف الذي يقصده، بعلاج قضية من خلال القرآن.

والملاحظ وهو يفسر في هذا النوع "غير المحاور الخمسة للقرآن" ينطلق في بدايته في اتجاهين:

الأول– ينطلق من تشخيص الواقع، لينتهي إلى إلى البحث عن علاج له في القرآن.

الثاني: ينطلق من القرآن مبرزا هداياته في قضية من القضايا أولا، ثم يسقط هذه الهدايات بعد ذلك على الواقع، فيبين مدى بعد هذا الواقع أو اقترابه من تلك الهدايات، ومقدار حضورها في واقع المسلمين[44].

وفي كلتا الحالتين نرى أهم خطواته:

اختيار الموضوع: الذي يراد دراسته من القرآن، ونجده يختار مواضيع ذو صلة وثيقة بمصطلحات القرآن الكريم، ومن الواقع، مثل: الإنسان في القرآن، الحياة العامة في القرآن، الثروة في القرآن، أولو الألباب في القرآن، اليهود في ميزان القرآن،... وهكذا كما مر ذكر كثير منه، ونرى هذه العناوين وثيقة الصلة بالقضايا المطروعة على العقل الإنساني المعاصر عامة، والإسلامي خاصة، فهي موضوعات تتعلق بميادين الحياة كلها: عقدية وسلوكية، وثقافية، وحضارية وتاريخية، عالجها ليبحث من خلالها في كتاب الله عز وجل عن أدوية للعلل

---

[42] رحماني، أحمد بن عثمان، مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي، عمّان: جدارا للكتاب العالمي، 2008م، ص 17.

[43] انظر كتابه: الإسلام والأوضاع الاقتصادية، ص 48– 55.

[44] مسعود فلوسي ص 104.

التي نخرت كيان الأمة.

ففي كتابه "نظرات في القرآن" نجده يضم هذين الاتجاهين..

فمن الاتجاه الاتجاه الأول وهو الإنطلاق من تشخيص الواقع أو المشكلة الواقعية أي كان نوعها، ثم يجد لها الجواب من القرآن المواضيع الآتية:

"الإنسان في القرآن" حيث ذكر زحف الفلسفة المادية على قارات الدنيا الخمس، وهذه الفلسفة بنظره تحقر القيمة الذاتية للإنسان، وهي بقدر ما تعمر تدمر، ثم بدأ يعدد مكونات جسم الإنسان من قبل أحد العلماء، وإذا ما جمع قيمة ما ذكروه فلا يساوي الإنسان إلا مبلغ زهيد، وتلك هي قيمة الإنسان المادية..

ثم يذكر المشكلة من قبل أهل الأديان، بأن تفوق الماديين لا يعود إلى تفوقهم ولا إلى قدراتهم الذاتية بل يعود للوهن النفسي الذي أصاب أهل الأديان، وفساد التدين يحدث في الإنسان ما تحدثه السموم...

ثم بعد ذكر الواقع يتجه للقرآن فيذكر ما يؤيد طرحه بقوله تعالى: " **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ..**" البقرة: 213،

بعدها يذكر قيمة الإنسان من خلال الآيات القرآنية ووظيفته، ومنزلته ورسالته، وكيف عرفه بعدوه الأول وهو إبليس، وكيف خط القرآن طريق الخير لهذا الإنسان، بالمحافظة على الفطرة السليمة، والتدين السليم، وبيان علاقة الإنسان بالكون بتدبره ويستدل بالآيات على ضرورة العمل والتفكر بالكون والاستفادة منه مع التأكيد على العمل الصالح حتى يبلغ درجة الإحسان[45].

ومثل ذلك تناول موضوع "الحياة العامة في القرآن"، "النبوات في القرآن"، و "الجزاء في القرآن"، و "فساد الأمم كما يصوره القرآن"[46].

ومن أمثلة الاتجاه الثاني : وهو أنه يبدأ بذكر الآيات القرآنية ويستنبط من هداياتها ما يصلح لحل مشكة أو الجواب على أسئلة تدور في الأذهان، وبالمحصلة يجعل من القرآن علاجا لقضية واقعية..

وقد تناول في الكتاب السابق مواضيع منها:

"الثروة في القرآن" فبدأ أولاً من القرآن وذكر الآيات التي تدل على أن الله هو المالك لكل شئ بقوله تعالى: " **قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ**" [المؤمنون:84– 89].

ثم بعد ذلك يبين أن الله تعالى هو المالك ولكن يسرها للإنسان لينتفع منها..

وبعد هذه الفكرة يذكر بقية الآيات التي تفيد أن الله سخرهل للإنسان، كما فصل القرآن صنوف النعماء التي

---

[45] انظر: نظرات في القرآن، ص 49–53.

[46] انظر: هذه المواضيع في المصدر السابق، ص 54، 74، 78. 87. ينظر فلوسي 104–105

يسرها للإنسان... ولكن بالمقابل أن النعم لا تهبط من السماء دون سعي الأنسان، بل على قدر كفاحه المبذول.. ومن هنا ينطلق لحل المشكلة التي يعيشها المسلمون وهو تقاعسهم حتى أصبحوا هم أبين الناس فاقة على ظهر الأرض، بتذكيرهم أن هذه النعم تحتاج منهم العمل والجد لكي يعمروا الأرض ويكونوا خلافة صالحة[47].

ومثل هذا الاتجاه تناول مواضيع أخرى " الألوهية في القرآن" فبدأ بذكر تسع آيات عرف الله فيها خلقه بأوصافه وأفعاله، ثم انطلق لحل مشكلة الأوهام التي علقت بأذهان الجاهلين عن حقيقة الألوهية، ومناقشة العقائد الأخرى النكرة للإله، ثم قدم فقرات نقل فيها من باحث آخر رد على أسئلة الملاحدة.. وكذلك بحث "ميراث الأرض لمن؟"[48].

أما في كتابيه "**المحاور الخمسة في القرآن**" فيظهر فيه منهج التفسير الموضوعي للموضوع القرآني أكثر نضجا ووضوحا، حيث تناول الموضوعات التي خاض فيها القرآن، وهو يرى أن المحاور الأساسية الكبرى في القرآن خمسة وهي:

الله الواحد. الكون الدال على خالقه. القصص القرآني. البعث والجزاء. التربية والتشريع.

فقد حصر فيه مقاصد القرآن في هذه المحاور الخمسة، ونراه في هذا الكتاب يتبع الأسلوب المتبع عند بقية من تناول هذا النوع ومن هذه الخطوات:

- تعيين الموضوع، وفي هذا الكتاب جعل المواضيع هي المحاور التي يراها أنها الكبرى في القرآن كما مر.
- جمع لكل واحد من هذه المقاصد والمحاور ما يتعلق بها من السور والآيات.
- تنسيق هذه الآيات والسور بتقسيمها على موضيع.
- جعل لكل مجموعة متناسقة من هذه الأيات والسور عنوانا مستلهما من موضوعها.
- يفسر هذه الأيات بما يفتح الله عليه ومستدلاً بمصادر سنذكرها لاحقا.
- بيان خصائصها وهداياتها.

فمثلا المحور الأول "الله الواحد" فبعد المقدمة التي تناول فيها مهمة الرسل بالتعريف بالله الواحد للناس، وضرورة إفرده بالعبودية، ومحاربة الوثنية، وسنة الأقوام في مواجهة الرسل..بعدها تناول الموضوع بعمق من خلال العناوين الآتية:

العقائد النصرانية، التوحيد قانون الوجود ونظام الحياة، القدر.. والجبر، وتصيّد الشبهات للفرار من المسؤلية لا يجدي، أحاديثص القدر، في القرآن تنقية للعقائد والسلوك.

وتحت كل عنوان حشد مجموعة من الآيات المتعلقة بها من سائر القرآن الكريم، ويقوم بتفسيرها تفسيرا مميزا، يظهر معانيها وهداياتها وعلاجها للإنسان وللبشرية كلها، مستعينا بتفسره بالقرآن نفسه والحديث النبوي، وشروحه، وربما ذكر ما يراه مناسبا من أقوال المفسرين، ومن خلال معايشته للواقع ومعرفته بالتاريخ، فيسقط

---

[47] المصدر السابق، ص 58- 61.

[48] انظر: فلوس 107.

ما يستنبطه من عبر على الواقع ليكون له القرآن حلا ومنقذا..

وهكذا جرى في كل المحاور، وقد ضمن الكتاب أيضا مقارنات بين نوعي التفسير الموضوعي والموضعي، وذلك من خلال عرض نموذجين لتفسير سورة الواقعة، من النوعين[49].

وفي مجال البحث من لفظ أو مصطلح من خلال القرآن نجد له ضمن كتاب "علل وأدوية" كلام عن: "ألو الألباب في كتاب الله" قال فيه: "لقد رأيت القرآن الكريم يتحدث عن (أولي الألباب) يعني أصحاب العقول في ستة عشر موضعاً، نستطيع عند تدبر كل موضع منها أن نعرف المستوى العالي لذوي الإيمان الصحيح، وكيف يتحرك العقل المؤمن في كل اتجاه ليقرر الحق، ويقود إليه".

وبعد أن يستعرض هذه الموضع يخرج بنظرية جامعة مفادها: أن الآيات تتحدث عن عصمة الفكر من البحث فيما وراء المادة، لأن هذا النوع من البحوث يقوم على التخمين والتوهم... وتطلق العنان للفكر كي يبحث ويستنتج في المادة وأسرارها وقوانينها، وقيام الله عليها، وأحكامه لوجودها[50].

النوع الثاني: تفسير سور القرآن تفسيرا موضوعيا.

ويلجأ إلى هذا النوع من التفسير الذين يؤمنون بالودة الموضوعية للسور، ولذلك يسمي البعض هذا النوع من التفسير الموضوعي بالتفسير الكشفي، "المنهج الكشفي يستهدف سبر أغوار السورة، بكشف وحدتها الموضوعية..."[51]

المتتبع لتاريخ فكر الشيخ الغزالي يرى أنه مارس هذا النوع من التفسير خلال مرحلتين، وعن طريق وسيلتين:

الأولى: في بداية السبعينيات حين بدأ بمهمة تفسير سور القرآن في خطب الجمعة التي كان يلقيها على المصلين كما مر، وهي المرحلة التي وظف فيها مصطلح "التفسير الموضوعي" توظيفا واقعيا عملياً، وحين أبلغ المصلين بذلك ذكر لهم السبب والأهمية والمنهج الذي سيتبعه فقال: "..ولذلك اجتهدت أن ألقي نظرات على التفسير الموضوعي للقرآن الكريم من على هذا المنبر، وتفسير سورة البقرة، سنأخذ منها هذا المنهج، إن السورة كلها وحدة مرتبطة متناسقة، لها محور تدور عليه، ولها أول يمهد للآخر، وآخر يصدق الأول، ومهما طالت السورة فإن المعنى الذي نقرؤه الآن يطرد في سور القرآن، ومن أول هذه السور سورة البقرة" [52]، أذن المنهج واضح ومعني لديه.

والخطب التي ألقاها في التفسير الموضوعي للسور نشر منها أربعة أجزاء: البقرة، آل عمران، النساء، التوبة، الواقعة، الفتح، النور، الممتحنة[53].

---

[49] انظر: المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ص 19-52.

[50] الغزالي، علل وأدوية، الإسكندرية: دار الدعوة، 1991م، ص 42.

[51] رحماني، ص 131.

[52] خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، ج 4، ص 79.

[53] انظر: فلوسي85.

الوسيلة هنا: المنبر، وهو ما يسميه البعض "التفسير الشفاهي"، وهو ما يلقى على الأسماع مباشرة في مجالس العلم، وكان عدد من العلماء قبيل عصره مارس التفسير بهذه الوسيلة ثم جمعت ودونت أو ربما ضاعت.. مثل محمد عبده وكثير من مفسري المغرب العربي، ولما انتشرت أسباب الاتصال الجديدة السمعية والبصرية برز لون جديد من التفسير يجمع بين خاصتي المشافهة والكتابة، ذلك لآن هذا النوع منها يلقى في الإذاعات أو في القنوات التلفزيونية، ثم تسجل على الأشرطة السمعية ليستفرغ بعد ذلك في الورق ليظهر في كتاب مقروء، ومن أمثلة ذلك تفسير الشيخ محمد المكي الناصري المغربي، والشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ بيوض، والشيخ الغزالي، ومتولي شعراوي [54].

كما مارس هذا النوع من التفسير في الجزائر، سواء على طلبته وهو يدرس التفسير في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، أو من خلال نشاطه الدعوي في المحاضرات، كما كان يلقي من على شاشة التلفزيون حديثاً أسبوعيا ينتظره الناس في مختلف أرجاء البلاد الواسعة بشغف كبير... وكان يلقي في قسنطينة كل يوم جمعة تقريبا درسا في أحد مساجدها الجامعة وغالبا ما يكون في التفسير الموضوعي لسورة من السور، ينزلها على أوضاع المسلمين قديما وحديثا[55].

وقد سبق أن ذكرت أن بعض المحاضرات التي ألقاها في المركز الثقافي الإسلامي في بالجزائر العاصمة، سنة 1985/1984م، قد طبعت في كتيب حمل عنوان: "نماذج من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم".

وكان فعل الغزالي وممن قاموا بهذا الجهد من التفسير الشفاهي هو بدافع الشعور بدور التفسير في الإصلاح، نتيجة إلى أن الممارسة الفعلية هي المحك الحقيقي لمعرفة فعالية العمل الدعوي في الإصلاح عن طريق العلاقة بن العقل الفاعل، بالعقل المنفعل، ولذلك اعتمدوا الأسلوب المبسط لشد انتباه جميع الطبقات والمستويات[56].

قال القرضاوي: "كانت خطب الغزالي تصب – في أكثرها – في دائرة التفسير الموضوعي المقرون بالنظر إلى الواقع، لذلك كان في هذه الخطب كما في مقالات الشيخ وكتبه نقد لبعض الأوضاع، وكشف لبعض المخبوء من المكائد والتآمر على الإسلام وأمته..."[57].

الثانية: مرحلة الكتابة حين ترجم تلك الخطب إلى كتابة، فحين كتب مؤلفه "المحاور الخمسة للقرآن الكريم" وهو من النوع الأول، ولكن في المحور الرابع: البعث والجزاء عرض نموذجين لتفسير سورة الواقعة أحدهما تفسير موضعي (تحليلي)، والآخر من التفسير الموضوعي، بعد أن عقد مقارنة بين المنهجين[58].

وقد ترجم تجربته ورؤيته التي تطورت خلال خمسين سنة تكاملت في كتابه "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم"، وقد أنجزه قبل فترة وجيزة من وفاه، وقد صدر الجزء الأول منه سنة 1992م، والثاني سنة 1993م،

---

[54] انظر: رحماني، مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها التفسير الشفاهي، ص 2-3.

[55] انظر: فلوسي، ص 40.

[56] انظر: رحماني، ص 223.

[57] انظر: يوسف القرضاوي ، الشيخ الغزالي كما عرفته، رحلة نصف قرن، ص 52.

[58] انظر كتابه: المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص 158-178.

والثال 1995م، أما الطبعة الكاملة في مجلد واحد فقد صدر في بداية سنة 1996ن، قبيل وفاته بفترة قصيرة.

منهج الغزالي في التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم

من استقراء ما فسره الغزالي في هذا المجال سواء في خطبه أو في كتاباته تتضح ملامح منهجه في الأمور الأتية:

أولاً: التأكيد على محور السورة تدور حوله، حيث يبدأ غالبا بعرض إجمالي لمحورها

ففي تفسيره لسورة النساء مثلا يبدأ بالقول: "الثلث الأول من سورة النساء حديث عن الأسرة وقضاياها، والأسرة هي المجتمع الصغير، والثلثان الباقيان حديث عن الأمة وشؤونها، والأمة هي المجتمع الكبير، فمحور السورة كلها العلاقات الاجتماعية وضرورة إحكامها وتسديدها"[59].

وفي سورة الأعراف يقول: "بدأت سورة الأعراف بحديث مجمل عن قضيتين: الأولى تتصل بالقرآن، واثانية في النكرين له، والمكذبين جملة بالوحي الإلهي..."[60].

وفي تفسيره لسورة النور قال في موضوعها: "وسورة النور تتحدث عن احترام الغريزة وضبطها حتى لا تنحرف يمنة أو يسرة، ثم التخويف لمن يدع حدود الله أو يترك العقوبات التي قررت تقريرا حاسما في هذه السورة المباركة"[61].

وفي بعض الأحيان لا يعمد إلى تحديد الموضوع المحوري للسورة بشكل مباشر، وإنما ينطلق في التفسير فإذا ما أحاط بقضية إشار إلى أن السورة تناولت هذه القضية وتكون مدخلا لدراسة الموضوع، ومثاله ما بدأ به سورة الإسراء: الآية الأولى من هذه السورة تضمنت قصة الإسراء، ثم عاد التاريخ القهقري ليذكر بني إسرائيل وما عرض لهم إثناء إقامتهم الأولى في فلسطين.

ويسترسل ثم يقول: "ونعود إلى سورة الإسراء لناحظ فيها أمرا تفردت به، وهو أن كلمة (القرآن) تكررت نحو إحدى عشر مرة، وهو ما لم يقع في سورة أخرى!، ألهذا علاقة بما شرحناه من طبيعة المعركة القائمة اليوم بيننا وبين اليهود؟

ثانياً: الكشف عن الوحدة الموضوعية بين آيات السورة كلها، وعلى الرغم من تعدد القضايا التي تعالجها السورة إلا أنه يحاول أن يجمعها برابط يجمع بينها.

وقد ذكر أنه يتأسى بهذا بالأستاذ الدكتور عبد الله درّاز فيقول: "لقد عنيت عناية شديدة بوحدة الموضوع في السورة، وتأسيت في ذلك بالشيخ محمد عبد الله دراز عندما تناول سورة البقرة، وهي أطول سورة في القرآن الكريم، فجعل منها باقة واحدة ملونة نضيدة، يعرف ذلك من قرأ كتابه "النبأ العظيم" وهو أول تفسير موضوعي لسورة كاملة فيما أعتقد"[62].

---

[59] نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص 47.

[60] انظر المصدر السابق ص 109،

[61] خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، ج2، ص 95.

وقد مرّ بعض أقوله في الكلام عن أهمية التفسير الموضوعي عنده، ولم يزل على نهجه هذا في جميع السور ويرى الغزالي أن موضوعات السورة القرآنية لا ينبغي أخذها من عناوينها أو أسمائها، لأنه قد ينصوف إلى مسألة جزئية عالجته السورة، فلا يكون جامعا لما تنطوي عليه من معان شتى ينتظمها محور جامع..

ويضرب لذلك أمثلة، فهو حريص على الوحدة الموضوعية وإن لم يدل العنوان على ذلك. [63]، فيقول في أول سورة المائدة: "سورة المائدة وتسمى سورة العقود، والتسمية الأخيرة أدل على موضوع السورة الواسع..أما الأولى فهي تشير إلى اقتراح الحواريين على عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء يأكلوا منها، ويستبشرون بها، وقصة المائدة لا تستغرق سوى أربع آيات، أما قضايا العقود فتشمل أغلب السورة..."[64].

ثالثاً: محاولته في إيجاد الروابط التي تجمع أول السورة بآخرها، وتجعل آخرها تصديقا لأولها، ومن أمثلته ما قاله في آخر تفسيره لسورة الكهف: "وتختم سورة الكهف بالمعاني التي ذكرت أولها، فالسورة – كما أوضحنا – لتقرير عقيدة التوحيد ونفي أن يكون لله أولاد أو أنداد ".. **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً** " [الكهف: 5]، وهنا يقول: " **أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً** " [الكهف: 102]. وذكر روابط أخرى بين المطلع والخاتمة.

وهذا ما يسمى عند كثير من العلماء بالمناسبات وأن كان له أنواع أخرى لم يذكرها الشيخ مثل المناسبات بين السور.

رابعاً: يكشف عما تمتاز به كل سورة من خصائص تميزها عن غيرها، سواء من حيث موضوعاتها، أو من حيث الأسلوب، يقول مثلا: "تمتاز سورة الأنعام بخاصتين شاعتا فيها هما: كثرة التقريرات والتلقينات، لاستنقاذ العقل العربي مما تردى فيه"[65].

وفي مزايا سورة التوبة يتحدث عن تميزها بانتزاع البسملة من أولها، وبعد بيان السبب من أنها أنهت وضعا معلقا بين المسلمين وخصومهم يقول: "هذه السورة بدأت بداية حاسمة صارمة، تمنع التلاعب والعبث، ولذلك نزعت معاني الرحمة من صدرها، لأنها تضمنت القصاص من المجرمين والتأديب للمعتدين.."[66].

خامساً: ربط موضوع السورة بالأجواء والملابسات التاريخية التي نزلت السورة معالجة لها ومتناولة لمشكلاتها الواقعة، وهو يعتبره شرطا أساسيا للمفسر فيقول: "لكي نفهم القرآن فهما صحيحاً، لا بد أن نفهم الأحداث التي عاصرته، وأن نعي الأحوال التي قارنت نزوله..فإن لآيات القرآن وثيقة الارتباط بالظروف التي جاءت فيها، وفقه هذه الظروف جزء من فقه الهدايات السماوية التي تعلقت بها وتعرضت لها... ومن الظلم الفادح للقرآن الكريم أن يحاول أحد تفسيره وهو ذاهل عن الجو الذي اكتنف نزول الآيات، فإن تاريخ النزول وسببه جزءان لا

---

[62] نحو تفسير موضوعي، المقدمة، ص 5.

[63] فلوسي، ص 115.

[64] نحو تفسير موضوعي، ص 71.

[65] المصدر السابق، ص 91.

[66] خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، ج 2، ص 53-55.

يمكن تجاهلهما في تكوين المعنى، وإيضاح القصد، بل لا يمكن تجاهلهما في تربية الناس بالقرآن وأخذهم بآدابه..![67].

وبهذا هو يرى أن ذلك من حكمة نزول القرآن منجما كما يرى بقية عالماء المسلمين وعلوم القرآن خاصة، لأنه نزل مسايرا للحوادث والوقائع، كما قال تعالى: "**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**" [الفرقان: 32-33].

والأمر الآخر يشير إلى أمر يقترن بتاريخ النزول هو سبب، وهو ما يعرف بمصطلح "أسباب النزول" رواية عمن عايشوا التزيل وهو خير معين لتفسير الأيات التي نزلت على سبب، وحل لما فيها من لبس قد يواجه البعض، وكما يقول الشيخ " إن الكلمة في مناسبتها الدقيقة تجئ كالعون المسعف عند الحاجة الماسة، أو كالحلو البارد على شدة الظمأ"، وهو حين يربط الآيات بجوها التاريخي وهو أمر لا يفوته غالبا، يبرز علاج هذه الآيات أو السورة للواقع الذي نزلت فيه، وله في ذلك مسلكان، أحدهما: يعرض الأجواء التاريخية التي نزلت فيها السورة، ثم يعرض القضايا التي تضمنتها، كما فعل في تفسيره لسورة البقرة، حيث ذكر ما يحتاجه المجتمع الوليد، والفئات التي كانت في المجتمع، أو التي تولدت بعد الهجرة، كالمهاجرين وفئة المنافقين، وكيف نزلت السورة لتظم المجتمع في جميع مجالاته..

وأحيانا يبدأ بالتفسير ثم يعرض من خلاله الأجواء التي نزلت بها ، فيعرض في كل جزء من السورة الأجواء والملابسات التي رافقتها والواقع الذي عاجته..ومثاله تفسيره لسورة النساء فبعد ما ذكر الموضوع العام لها انتقل إلى المسائل التي عالجتها السورة...[68].

سادساً: عقد مقارنات بين السور القرآنية في موضوعاتها، أو أساليبها في عرض تلك الموضوعات، ليل إلى ما تتميز به كل سورة وتنفرد به عن غيرها.

مثل مقارنته بين سورتي هود والأعراف، بشأن ما ورد فيهما من قصص، فيقول وهو يفسر سورة هود: "والقصص تتكرر في القرآن، وفي كل واحة منها ملحظ لا يرى في الأخرى، وإنما تعرف حقيقة القوم كاملة من الجمع بين شتى القصص في صعيد واحد، وهذا الصنيع يحتاج إلى علم خاص به.. وفي سورة هود جاءت قصص الأولين ومصارعهم على النحو الذي تم في سورة الأعراف، لكنك تقرأ هنا تفاصيل عن قوم نوح لم ترد قط في سورة الأعراف... تفاصيل استغرقت نحو صفحتين على حين لم تأخذ من سورة الأعراف إلا سطورا"، ثم يقد مقارنة بين فساد الأقوام وشكل هذا الفساد فيقول: "ولكن ثود أعماها الطغيان والكبر فلم تشكر نعمة ولم ترع لله حقا..وجاءت مدين بعد ثمود، فجمعت بين الفساد السياسي والاقتصادي، ولقد رأينا في سورة الأعراف أن الحرب المعلنة على الفساد السياسي كانت أبرز، أما في هود فإن التنديد بالعوج الاقتصادي كان أبرز"[69].

---

[67] نظرات في القرآن، ص 15.

[68] انظر: مسعود فلوسي، ص 120-121.

[69] نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص 170، 173.

سابعاً: نقده لما ورد في كتب التفسير من آراء غير وتفسيرا أضرت بالفكر الإسلامي، فمن ذلك ما ورد من أن بعض سورة الأنعام المكية والتي نزلت مرة واحدة أن فيها آيات مدنية، ومن ذلك إنكاره للنسخ وخصوصا، مثل آية السيف وغيرها، ففي تفسيره لسورة التوبة أنكر على من يدعي أن الإسلام يبدأ الناس بالهجوم دون دعوة أو إعلان، وذلك فيه إكراه للناس مخالف لصريح الآيات، ويرى أنه تعسف بفصل أول الآية عن آخرها مستدلا بـــ "وقاتلوا المشركين كافة" وناسيا بقيتها "كما يقاتلونكم كافة" وذلك حين شرح الملابسات التاريخية التي استدعت البراءة[70].

وقد ناقش هذه القضية في كتاب آخر، وشدد النكير على من أولع بإيرد النسخ فقال: "ونحن نستغرب من بعض المفسرين ولوعهم بذكر النسخ حتى ليكاد يكون ذلك مرضا عند السيوطي غفر الله له، فق حكم بنسخ عدة مئات من الآيات متعلقاً بآراء ومرويات تافهة"[71].

ومن المعروف أن للشيخ رأي في النسخ لا مجال للخوض فيه، وهو ناقش الآراء والأدلة التي يستدل بها على وجود النسخ في القرآن الكريم[72].

وهو يكرر بوجوب النظرة الشاملة الصحيحة في الدراسات القرآنية، ويرى من أسباب شلل الفكر لإسلامي هو النظرة الجزئية في النصوص، والتي عالجها في كثير من بحوثه وضرب لها الأمثلة[73].

ثامناً: حرصه على الإيجاز والاختصار:

وهو في كتابه الأخير "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن كريم" قصد إلى وضع الخطوات الأولى في هذا النوع من المنهج، ولذلك أحيانا يكتفي باختيار مجموعة محددة من آيات السورة يرى أنه كافية في إبراز الملامح العامة لها، ويترك لغيره ممن يأتون بعده مهمة التفصيل، وقد عبر عن ذلك في المقدمة:

"وأكرر أنني مستكشف قاصر، وإن الوادي الذي استقي منه يسيل على قدْري أنا – وهو محدود – ولكنه يحث الخطى إلى ما هو أبعد، ويدو ألوا الألباب إلى الشأو الأعلى في خدمة القرآن، وإماطة اللثام عن روائعه وبدائعه..

إنني أختار من الآيات ما يبرز ملامح الصورة، وأترك غيرها للقارئ يضمها إلى السياق المشابه، وذلك حتى لا يطول العرض ويشتت، والإيجاز مقصود لدي... [74]، وفي كلام الشيخ تواضع واضح وهو من خلقه الرفيع، ويرى البعض أن السبب في الاختصار هو السن التي كتب بها الشيخ تفسيره كان لها تأثير حدا به إلى الإيجاز بدل الاستفاضة[75].

---

[70] المصدر السابق ص 141.

[71] دستور الوحدة الثقافية، ص 58.

[72] انظر: كيف نتعامل مع القرآن، ص 79–84.

[73] المصدر السابق، 71.

[74] نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص 6.

[75] انظر: مسعود فلوسي، وهو يذكر ما يدل على ذلك في مقدمات الأجزاء الثلاث قبل أن يطبع كاملا، ص 125.

تاسعاً: اجتهاداته الخاصة: واجتهاداته كثيرة تجدها في أحاديثه وكتبه، وله إضافات إلى ما كتبه علماء التفسير قديمًا وحديثًا، ففي سورة الأعراف اختلف العلماء من هم أصحاب الأعراف؟! والرأي الغالب عندهم أنهم قوم استوَت حسناتهم وسيئاتهم، فليسوا من أصحاب النار وليسوا من أصحاب الجنة، ويؤجل البتُّ في أمرهم حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

لكن الغزالي اقترح علينا فكرةً تتلقفها القلوب في شوق كبير وقال: "إن الذين تستوي حسناتهم وسيئاتهم لا يمكن أن يكونوا أصحاب هذا الفضل العظيم يوم القيامة؛ إذ ينادون أهل الجنة فهذه منزلة عليا؛ ولذلك رفض أن تكون هذه المنزلة لمن استوت حسناته وسيئاته، وإن كان الغالب أن يكونوا من أهل الجنة لأن الله غفور رحيم، رأى أن هؤلاء هم الأنبياء والرسل والشهداء والمخلصون الذين يدخلون الجنة بغيرحساب"[76].

بقي أن نشير إلى أن الغزالي لا يرفض المناهج الأخرى – وإن انتقد بعضها – وإحلال التفسير الموضوعي بدلها، بل لا بد من التفسير الموضعي (التحليلي) وهذا ما قاله في المقدمة: "أنبه إلى أن هذا التفسير الموضوعي لا يغني أبدا عن التفسير الموضعي، بل هو تكميل له، وجهد ينظم إلى جهوده المقدورة...".

وقد ذكر قبل ذلك في أول المقدمة للتمييز بين المنهجين، وبما يوحي أن كلا منهما متمم للآخر: "والتفسير الموضوعي غير التفسير الموضعي، الأخير يتناول الآية أو الطائفة من الآيات فيشرح الألفاظ والتراكيب والأحكام، أما الأول فهو يتناول السورة كلها يحاول رسم "صورة شمسية" لها تتناول أولها وآخرها، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها[77].

وهذا ما أكده في كتابه الآخر "تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل" يقول: "وذلك لأن التفسير الموضعي لا بد منه قبل الشروع في التفسير الموضوعي، فإنه فهم جيد للآية أو لجملة الآيات التي تتناول قضية واحدة...ويتعاون التفسير البلاغي والفقهي وغيرهما على توضيح الرؤية وتحديد المعنى"[78].

وقد أكد هذا المبدأ كل من كتب في التفسير الموضوعي وبينوا علاقة الوثيقة بين المنهجين. [79]، كما بينوا الفرق بينهما، وأنهما مرحلتان متكاملتان"[80].

مصادره في التفسير

أولاً: القرآن الكريم، وذلك هو تفسير بالقرآن: وهو واضح في التفسير الموضوعي للموضوع، لأنه جمع الآيات في الموضوع الواحد.

---

[76] - نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص 111–112

[77] نحو تفسير موضوعي..، ص 6.

[78] تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، ص 128.

[79] انظر على سبيل المثال، مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، تحت عنوان "صلة التفسير الموضوعي بالأنواع الأخرى من التفسير"، ص 52–54.

[80] انظر هذه المواضيع: صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ص 40–45.

أما في التفسير الموضوعي لسور القرآن فنده يطبق ذلك أحيانا، مثاله حين فسر الأنفال، وذكر خصال المؤمنين "**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ { 2} الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ { 3} أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** " [الأنفال: 2-4]، ذكر ما يؤكدها ببيان خصال المؤمنين من سور أخرى[81].

ثانياً: السنة النبوية: يستشهد الغزالي بصحيح السنة النبوية في معرض دراسته للآيات، ففي تفسير الآية السابعة من سورة الزمر: "**إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**" [الزمر: 7]، ذكر جملة أحاديث لفضيلة الشكر وأنه خلق الأنبياء، بعد أستدل بآية أخرى كذلك، فذكر الحديث: "أفلا أكون عبدا شكورا" [82] في سر اجتهاد النبي في العبادة، وحديث: "عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد" [83] وقوله ﷺ: "من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح، كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه"[84].

ورأي الشيخ معروف في أحاديث الأحاد فهو لا يقبلها في العقائد، ورده إذا خالف اليقين[85].

ثالثاً: توظيف ملابسات النزول في فهم القرآن: بما أن القرآن نزل منجما على الحوادث لذا يرى لا بد من تفهم ذلك، ففي تفسير سورة الفتح مثلا يقدم الغزالي سردا تاريخيا متكاملا للأحداث التي سبقت نزول السورة، والتي تمثلت بهجوم الأحزاب على المدينة، وما تركه من أثر على المسلمين، وما كان من اليهود والمنافقين، وأحيانا يذكر سبب النزول الي يمثل دواعي النزول لحل مشكلة أو استيضاح عن مسألة.

---

[81] نحو تفسير موضوعي.. ص 127-128.

[82] البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: "ليغفر الله لم ما تقدم من ذنبك...مستقيما"، ح(4556)، 1830/4، وكتاب الرقاق، باب الصبر على محارم الله، وقوله عز وجل: "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"، ح (6106)، 3275/5، وكتاب الكسوف، أبواب التهجد، باب قيام النبي ﷺ حتى تورم قدماه، ح (1078)، 380/1، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب وصف الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، ح(8219، 8220) 2171/4-2172.

[83] الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب خلق الله مائة رحمة، ح(3549)، 552/5، وصحيح ابن خزيمة، كتاب الصلاة، باب ذكر الدليل على أن ركعتين من صلاة الليل...، ح (1135)، 176/2، والحاكم في مستدركه، كتاب صلاة التطوع، ح(1156)، 451/1.

[84] نحو تفسير موضوعي...، ص 357-358. والحديث جاء في صحيح ابن خزيمة، كتاب الصلاة، باب ذكر الناوي قيام الليل فيغلبه النوم، ح (1172)، 195/2، والنسائي، في السنن الكبرى، كتاب الوتر، أبواب التطوع، المحافظة على الركعتين، ح(1458)، 456/1، وابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فيمن نام عن حزبه من الليل، (1344)، 426/1، والحاكم في مستدركه، من كتاب الصلاة، صلاة التطوع، (1170) 455/1.

[85] انظر مثلا كتابه، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، ص 55-69. وكيف نتعامل مع القرآن، ص 112.

رابعاً: توظيف التاريخ في التفسير: والغزالي واسع الثقافة مطلع على مجريات التاريخ، وخصوصا التاريخ الإسلامي، وهو يؤكد في كتاباته عن صرورة أخذ العبرة من التاريخ، ففي تفسيره لسورة المائدة، يذكر قصة الود التي كانت بين أتباع المسيحية والإسلام، والذي تحول إلى صراع مرير، ويذكر ما يدل عليه بعد الآية: "**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ {82} وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**" [المائدة: 82–83]، من أحداث التاريخ من كيد وحروب صليبة قديمة وحديثة.[86]

خامساً: توظيف فقه الواقع وتجاربه في الحياة: ويتأتى من المعايشة المدركة والواعية للواقع المحلي والأقليمي والدولي في جميع المجالات، ولذلك وجدنا الشيخ يكتب في كل هذا ، ويوظفه في التفسير ليجد من القرآن مخرجا للخروج من الأزمات والمشاكل، وخصوا وهو يدرك بضرورة تغيير الواقع الإسلامي ، ومدرك للقوى الخفية التي تحرك الأحداث.

ومثاله ما عرض من أنواع الكفر المختلفة ومظاهرها قديما وحديثا، وكيف تمارس تأثيرها على الناس، وهو يفسر سورة محمد في إحدى خطبه معلقا على قوله تعالى:" **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** " [محمد: 1][87].

ومن خلال خبراته المكتسبة من الحياة، يكشف من المساوئ في الواقع الإسلامي، لبيان عظمة الشرائع الإلهية وقصور المناهج البشرية، ومن ذلك دوته لأنصاف المرأة فيقول: "لقد ظلمت المرأة في بيئات كثيرة، وغريب أن يرّد الحيف عليها إلى تعاليم الإسلام التي أنصفتها، لقد قال تعالى:" **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ...**"]البقرة: 228]، والآية ظاهرة في تبادل الحقوق والواجبات، وفي تقرير درجة رياسة الرجل، مع إتمام هذا التبادل..." ثم يسرد من تجاربه النظرة إلى المرأة في المجتمعات، وأن ذلك كاف لأن تقع المسلمة في شرك المنصرين والفسدين[88].

سادساً: الاستعانة بخلاصات العلوم التجريبية: يرى الشيخ ضرورة الاستفادة من الحضارة الحديثة وما وصلت إليه من ناحية وسائل فهم الكون، والنفس الإنسانية، بعد ضبطها بمبادئ الإسلام ومقاصده الكلية[89].

سابعاً: الاستعانة بأقوال بعض المفسرين: وأحيانا يستعين بإقوال المفسرين، وخصوصا الشيخ محمد رشيد رضا، صاحب المنار، وقد ذكرنا في المحور الأول الشيخ الذين تأثر بهم. كما أنه أحيانا يستشهد بالأشعار العربية للتدليل على المعنى الذي يقرره، وهي قليلة.

---

[86] نحو تفسير موضوعي..سورة المائدة، ص 87–88.

[87] انظر تفاصيل ذلك في خطب الشيخ الغزالي، ج 2، ص 150–151.

[88] نحو تفسير موضوعي ص 21–22.

[89] انظر: كيف نتعامل مع القرآن، ص 45–46

الخاتمة

من خلال رحلتنا مع مؤلفات الغزالي في الدراسات القرآنية والتفسير الموضوعي للقرآن توصل البحث إلا النتائج الآتية:

1- لم يكن الغزالي أول من ألف في منهج التفسير الموضوعي، فقد مارسه علماء أجلاء قبله، ولكنه أبدع فيه إيما إبداع، وإبداعه في هذا المنهج في العصر الحديث واضح يشهد له ما ألفه في هذا المجال، وفي لونيه: التفسير الموضوعي لموضوع في القرآن، وأبرز ما ألفه فيه "المحاور الخمسة للقرآن"، وفي اللون الآخر: التفسير الموضوعي لسورة في "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم".

2- ما قدمه الغزالي يمتاز باستقلاليته فيه، نتيجة لتأملاته ومعايشته للقرآن، واستخدامه للعقل في النظر والتأمل والتحليل والمقارنة والترجيح، ومنهجه يقوم على الواقعية الهادفة، وخصوصا الواقع الإسلامي، داعيا إلى تغيير هذا الواقع، وهذا ما يميزه عن كثير ممن يكتب في هذا المجال.

3- يميل الغزالي في تفسيره الموضوعي إلى الإيجاز، فيختار من الآيات ما كان معبرا بصورة واضحة عن الفكرة المحورية للموضوع أو للسورة، وهذا ما جعل من عمله مفتاحا يوظفه القارئ في فتح ما انغلق عليه من معاني القرآن.

4- يمتاز منهجه بالفهم الشامل للقرآن الكريم، فهو على وعي بمقاصد القرآن وأهدافه وأغراضه، ولذلك ينبه على خطر غياب تلك المقاصد وتحققها في الواقع.

5- ومن خصائص منهجه ربط الآية بسابقتها ولاحقتها وتفسيرها في بيئتها، والنظر للسورة من أولها إلى آخرها، وإخراج المعاني مؤتلفةً في السورة كلها، ولقد سلك هذا المسلك من قبله أئمة، ولكنه تميز عليهم بعذوبة الأسلوب ويُسْره، أو ما يطلق عليه السهل الممتنع.

المصادر

ابن خزيمة، محمد بن إسحاق النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي، (1970)

ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر، (د.ت)

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير، ط3، (1987).

الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت)

الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، الأردن: دار النفائس، 1997م.

الدغامين زياد خليل، التفسير الموضوعي ومنهج البحث فيه، عمّان: دار عمّار، سنة 1995م.

رحماني أحمد بن عثمان، مناهج التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي، عمّان– الأردن: جدارا للكتاب العالمي، (2008م).

عبد الحليم عويس، الشيخ محمد الغزالي: تاريخه وجهوده وآراؤه، دمشق: دار القلم، سنة 2000م.

عبد الحليم عويس وآخرون: الشيخ محمد الغزالي.. صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب من فكره – دار الصحوة للنشر – القاهرة 1413هـــ = 1993م.

الغزالي محمد، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، القاهرة: دار الشروق، ط2، 1996م.

الغزالي محمد، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دمشق: دار القلم، ط2، سنة 1997م.

الغزالي محمد، كيف نتعامل مع القرآن، الولايات المتحدة الأمريكية– فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، سنة 1992م.

الغزالي محمد، نظرات في القرآن، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، سنة 1996م.

الغزالي محمد، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، المنصورة: دار الوفاء، ط3، 1992م.

الغزالي محمد، علل وأدوية، الاسكندرية: دار الدعوة، 1991م.

الغزالي محمد، ليس من الإسلام، القاهرة: دار الشروق، 1998م.

الغزالي محمد، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، القاهرة: دار الشروق، ط3، 1992م.

القرضاوي، يوسف، الشيخ الغزالي كما عرفته: رحلة نصف قرن، المنصورة: دار الوفاء، 1995م.

قطب عبد الحميد قطب، خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة، (جمع وتقديم)، الجزائر: مكتبة رحاب، (د.ت).

محمد عمارة: الشيخ محمد الغزالي.. الموقع الفكري والمعارك الحربية – الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، 1992م.

محمد رجب بيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، دمشق: دار القلم، 1999م.

مسعود فلوسي، الشيخ محمد الغزالي رائد منهج التفسير الموضوعي في العصر الحديث، المنصورة: دار الوفاء، سنة 2000م.

مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دمشق: دار القلم، ط4، 2005م.

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م.

قصة حياة، مقتطفات من مذكرات الشيخ، ضمن مجلة "إسلامية المعرفة"، ماليزيا: السنة الثانية، العدد السابع، رمضان 1417هـ/ يناير 1997م.